شـــكوى

لشاعر الإسلام
محمـــد إقبـــال

شـــكواي أم نجـــواي في هـــذا الـــدجى ... ونجـــوم ليلـــي حُـــسّدي أو عُـــوّدي
أمـــسيت في الماضـــي أعـــيش كـــأنني ... قطـــع الزمـــان طريـــق أمـــسي مـــن غـــدي
والطـــير صـــادحة علـــى أفنائهـــا ... تبكـــي الـــربى بأنينـــها المتجـــددِ
قـــد طـــال تـــسهيدي وطـــال نـــشيدها ... ومـــدامعي كالطـــل في الغـــصن النـــدي
فـــإلى مـــتى صـــمتي كـــأني زهـــرة ... خرســـاء لم تـــرزق براعـــة منـــشدِ

قيثـــاريتي ملئـــت بأنـــات الجـــوى ... لا بـــد للمكبـــوت مـــن فيـــضانِ
صـــعدت إلى شـــفتي بلابـــل مهجـــتي ... ليـــبين عنـــها منطقـــي ولـــساني
أنـــا مـــا تعـــديت القناعـــة والرضـــا ... لكنمـــا هـــي قـــصة الأشـــجانِ
أشـــكو وفي فمـــي التـــراب وإنمـــا ... أشـــكو مـــصاب الـــدين للـــديّانِ
يـــشكو لـــك اللـــهم قلـــب لم يعـــش ... إلاّ لحمـــد عـــلاك في الأكـــوانِ

قـــد كـــان هـــذا الكـــون قبـــل وجودنـــا ... روضـــاً وأزهـــاراً بغـــير شمـــيمِ
والـــورد في الأكمـــام مجهـــول الـــشذى ... لا يرتجـــى ورد بغـــير نـــسيم
بـــل كانـــت الأيـــام قبـــل وجودنـــا ... لـــيلاً لظالمهـــا وللمظلـــومِ
لمـــا أطـــل محمـــد زكـــت الربـــا ... واخـــضر في البـــستان كـــل هـــشيمِ
وأذاعـــت الفـــردوس مكنـــون الـــشذى ... فـــإذا الـــورى في نـــضرةٍ ونعـــيمِ

مـــن قـــام يهتـــف باســـم ذاتـــك قبلنـــا ... مَـــنْ كـــان يـــدعو الواحـــد القهـــارا
عبـــدوا تماثيـــل الـــصخور وقدســـوا ... مِـــن دونـــك الأحجـــار والأشـــجارا
عبـــدوا الكواكـــب والنجـــوم جهالـــة ... لم يبلغـــوا مـــن هـــديها أنـــوارا
هـــل أعلـــن التوحيـــد داع قبلنـــا ... وهـــدى الـــشعوب إليـــك والأنظـــارا
كنـــا نقـــدم للـــسيوف صـــدورنا ... لم نخـــش يومـــاً غاشمـــاً جبـــارا

قـــد كـــان في اليونـــان فلـــسفة وفي الـــــ ـــــرومان مدرســـة وكـــان الملـــك في ساســـانِ
لم تغـــــن عنـــــهم قـــــوة أو ثـــــروة في المـــــال أو في العلـــــم والعرفـــــانِ
وبكـــــل أرض ســـــامري مـــــاكر يكفـــــي اليهـــــود مؤونـــــة الـــــشيطانِ
والحكمـــــة الأولى جـــــرت وثنيـــــة في الـــــصين أو في الهنـــــد أو تـــــورانِ
نحـــن الـــذين بنـــور وحيـــك أوضـــحوا نهـــج الهـــدى ومعـــالم الإيمـــانِ

من ذا الـــذي رفـــع الـــسيوف ليرفـــع اســـ ـــمك فـــوق هامـــات النجـــوم منـــارا
كنـــا جبـــالاً في الجبـــال وربمـــا ســـرنا علـــى مـــوج البحـــار بحـــارا
بمعابـــد الإفـــرنج كـــان أذاننـــا قبـــل الكتائـــب يفـــتح الأمـــصارا
لم تـــنس أفريقيـــا ولا صـــحراؤها ســـجداتنا والأرض تقـــذف نـــارا
وكـــان ظـــل الـــسيف ظـــل حديقـــة خـــضراء تنبـــت حولنـــا الأزهـــارا
لم نخـــش طاغوتـــاً يحاربنـــا ولـــو نـــصب المنايـــا حولنـــا أســـوارا
نـــدعو جهـــاراً لا إلـــه ســـوى الـــذي صـــنع الوجـــود وقـــدر الأقـــدارا
ورؤوســـنا يـــا رب فـــوق أكفنـــا نرجـــو ثوابـــك مغنمـــاً وجـــوارا
كنـــا نـــرى الأصـــنام مـــن ذهـــب فنهـــدمها ونهـــدم فوقهـــا الكفـــارا
لـــو كـــان غـــير المـــسلمين لحازهـــا كنـــزاً وصـــاغ الحلـــي والـــدينارا

كـــم زلـــزل الـــصخر الأشـــم فمـــا وهـــى مـــن بأســـنا عـــزم ولا إيمـــانُ
لـــو أن آســـاد العـــرين تفزعـــت لم يلـــق غـــير ثباتنـــا الميـــدانُ
وكـــأن نـــيران المـــدافع في صـــد ور المـــؤمنين الـــروح والريحـــانُ